جامعة أم البواقي

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

ليسانس التاريخ

محاضرة في مادة:

تاريخ المشرق الإسلامي ما بين القرنين 2- 7 هجري

بعنوان:

الدعوة العباسية والثورة وقيام الدولة

موجّهة إلى طلبة السنة االثانية ليسانس -تخصص التاريخ

السنة الجامعية :2025- 2026م

مقدمة

تُعدّ الثورة العباسية من أبرز الأحداث الفاصلة في تاريخ الإسلام الوسيط، إذ أسفرت عن سقوط الدولة الأموية التي حكمت قرابة تسعين عامًا، وإرساء دولة جديدة أسّسها بنو العباس خلفاء النبي محمد ﷺ من جهة عمّه العباس بن عبد المطلب .وقد تجلّت هذه الثورة ثمرةً لحركة دعوية منظمة امتدت عقودًا، وانتهجت أساليب سرية دقيقة حتى أسفرت عن تحولٍ جذري في بنية السلطة الإسلامية.

أولًا :السياق التاريخي -أزمة الدولة الأموية

1. الأزمة السياسية والإدارية:

شهدت الدولة الأموية في نهاياتها تراكمًا حادًا للأزمات على جميع المستويات .فعلى الصعيد السياسي، ظهرت الصراعات المزمنة بين الفصائل القبلية العربية، ولا سيما التنافس الحاد بين المضرية واليمنية على النفوذ والسلطة، مما أفضى إلى توترات تهزّ استقرار الجهاز الحكومي وتُضعف التماسك الداخلي للدولة.

وقد تجلّت الأزمة الإدارية في تعاقب الولاة وعدم استقرار السياسات، فضلًا عن الفساد الذي نخر مؤسسات الحكم في الأمصار المختلفة .وكان الخليفة يجد نفسه رهين التوازنات القبلية بدلًا من إعمال مبدأ الكفاءة في التعيين والإدارة.

.2الأزمة الاجتماعية والاقتصادية

تعمّقت هوّة التمييز بين العرب وسائر الشعوب المسلمة التي اعتنقت الإسلام، إذ بقيت هذه الشعوب -وفي مقدّمتها الموالي من الفرس والترك والبربر -تُعامَل كمسلمين من الدرجة الثانية في توزيع الغنائم والعطاء .وقد أشعل هذا الإقصاء نارَ الاستياء، وغذّى روح التمرد على الحكم الأموي،أما الموالي فقد شكّلوا قوة بشرية وفكرية لم يُحسن الأمويون توظيفها أو استيعابها، مما جعل منهم حاضنة طبيعية لكل حركة معارضة ساعية إلى التغيير.

.3الأزمة الشرعية والدينية

عانى الحكم الأموي من أزمة شرعية متفاقمة في نظر شريحة واسعة من المسلمين، إذ رأوا فيه انحرافًا عن مبادئ الحكم الإسلامي القائم على الشورى والعدل .وقد تعمّقت هذه الأزمة بسبب الأحداث الدموية التي شهدتها الفتنة الكبرى، كاستشهاد الحسين بن علي رضي الله عنه في كربلاء عام 61هـ، وهو الحدث الذي ترك جرحًا غائرًا في الوجدان الإسلامي، ووفّر وقودًا معنويًا لكل دعوة تبحث عن التغيير باسم أهل البيت النبوي.

ثانيًا :نشأة الدعوة العباسية وتطورها

1.البداية والمرحلة الأولى 100- 118 هجري:

تُؤرَّخ البداية الفعلية للدعوة العباسية بوفاة أبو هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية عام 98هـ/ 716م، الذي نُسب إلى آل البيت وكانت له شبكة واسعة من الموالين والمريدين .وتشير الروايات إلى أنه أوصى بالدعوة لمحمد بن علي بن عبدالله بن العباس، ناقلًا إليه إرثه التنظيمي وقواعد أتباعه.

وقد أسّس محمد بن علي مركز الدعوة في الحميمة بالأردن، وجعل منها قاعدة آمنة بعيدة عن أعين السلطة الأموية .وكان يُرسل الدعاة سرًا إلى مختلف الأمصار، مُولِيًا اهتمامًا خاصًا لخراسان حيث توافر السخط الشعبي على الحكم الأموي.

2.التنظيم السري ودور خراسان

استثمر العباسيون في موقع خراسان بوصفها إقليمًا بعيدًا عن مركز الخلافة في الشام، ومكتنزًا بالمظالم تجاه السياسات الأموية التمييزية .وكان الإقليم يتميز بتنوع عرقي ودموغرافي كبير، إذ يضمّ الفرس والترك والعرب الذين استقروا فيه منذ الفتوح.

اضطلع أبو مسلم الخراساني بالدور الأبرز في قيادة الدعوة الميدانية، إذ نجح في تنظيم شبكة سرية محكمة من الدعاة والأنصار .واتكأت الدعوة على شعار "الرضا من آل محمد "الذي جمع أطيافًا متنوعة بين الشيعة والمعارضين دون الكشف عن الهوية الحقيقية لصاحب الدعوة.

3.الأيديولوجيا والخطاب الدعوي:

استمدّت الدعوة العباسية مشروعيتها من جملة عناصر أيديولوجية، أبرزها:

- الاحتجاج بقرابة العباس من النبي ﷺ بوصفه شرطًا للخلافة الشرعية.
- استثمار الشعور العام برفض الاستبداد الأموي والمطالبة بالعدل والمساواة.
- توظيف الروايات الدينية والنبوءات التي تُبشّر بزوال الظلم وانتصار الحق.
- تبني مظالم الموالي والمطالبة بمساواة المسلمين غير العرب في الحقوق والواجبات.
- الغموض المقصود في عبارة "الرضا من آل محمد "لتوسيع رقعة التحالفات الممكنة.

ثالثًا :الثورة المسلحة وسقوط الأمويين

1.إعلان الثورة 129هـ/ 747م: في رمضان عام 129هـ الموافق جوان 747م، رفع أبو مسلم الخراساني الراية السوداء شعارًا لثورته في قرية سفيذنج قرب مرو، مُؤذِنًا ببدء المرحلة العسكرية المفتوحة .

وانضوى تحت لواء الثورة أعداد كبيرة من المقاتلين :الموالي الخراسانيون، وعرب خراسان الساخطون، وعناصر من الشيعة الذين كانوا يأملون في إعادة الحق لآل البيت.

تقدّمت جيوش الثورة بسرعة لافتة، مستثمرةً انهيار الروح المعنوية في صفوف الحاميات الأموية، واستطاع الثوار السيطرة على المدن الكبرى في خراسان تباعًا.

2.المعارك الفاصلة:

معركة نهر الزاب الكبير 132هـ/ 750م:

شكّلت هذه المعركة على ضفاف نهر الزاب بشمال العراق المواجهةَ الحاسمة بين قوات الثورة بقيادة عبدالله بن علي العباسي، وجيش الخليفة مروان الثاني .انتهت المعركة بهزيمة ساحقة للأمويين أسفرت عن فرار الخليفة نحو الشام ثم مصر حيث لقي حتفه.

سقوط دمشق

توالت الأمصار في فتح أبوابها للجيوش العباسية، وكان سقوط دمشق عاصمة الأمويين إيذانًا رمزيًا بانتهاء حقبة كاملة من تاريخ الخلافة الإسلامية، وإغلاق صفحة الحكم الأموي إلى غير رجعة.

3.مصير الأسرة الأموية

أقدم العباسيون على تصفية معظم أفراد الأسرة الأموية بصورة منهجية، حتى لا يتحوّلوا إلى بؤر استقطاب للمعارضة .وتفيد المصادر التاريخية بأن عدد من قُتل منهم بلغ المئات، لم ينجُ منهم إلا عبد الرحمن الداخل الذي فرّ إلى الأندلس وأسّس الإمارة الأموية هناك عام 756م.

رابعًا :قيام الدولة العباسية وتشييد مؤسساتها:

1.تأسيس الخلافة:

بويع أبو العباس عبدالله بن محمد الملقّب بـ"السفاح "أول خليفة عباسي في الكوفة عام 132هـ/750م، وأعلن في خطبته الشهيرة بدء عهد جديد يقوم على العدل ورفع المظالم .وقد اختار العباسيون العراق لتكون مركزًا لدولتهم بدلًا من الشام الأموية، لما يوفره الموقع من أهمية استراتيجية وقرب من خراسان حاضنة الثورة.

2.بناء العاصمة بغداد

إبان خلافة أبي جعفر المنصور 136- 158هـ/ 754-775م، شرع العباسيون في تنفيذ مشروع تأسيس عاصمتهم الجديدة .فعام 145 هـ/ 762م، وُضع الحجر الأول لمدينة بغداد، التي عُرفت

بـ"مدينة السلام "وصُمِّمت على شكل دائري هندسي مُبتكر لم تعرفه العمارة العربية من قبل .وسرعان ما غدت بغداد قطب الدنيا ومركز الحضارة الإسلامية في عصرها الذهبي.

3.الإصلاحات المؤسسية

سعى العباسيون منذ البداية إلى بناء دولة ذات مؤسسات راسخة، وتجلّى ذلك في عدة مجالات:

- الوزارة :أسّس العباسيون منصب الوزير واضطلعت أسرة البرامكة بمهامه في مرحلة مهمة من التاريخ العباسي، وكانوا من أصول فارسية مما يعكس التوجه نحو التعاون مع النخب غير العربية.
- الجيش :اعتمد العباسيون في بداياتهم على الجند الخراسانيين، قبل أن ينتقلوا تدريجيًا إلى الاستعانة بالعناصر التركية لاحقًا.
- القضاء :عُزّزت مؤسسة القضاء وأُعطيت صلاحيات أوسع، مع الإبقاء على ارتباطها بالشريعة الإسلامية.
- ديوان الرسائل والبريد :طُوِّرت الدواوين الإدارية وشبكة البريد لتُحكم السيطرة على الأقاليم الشاسعة للدولة.

4.الطابع الحضاري للدولة

اتّسمت الدولة العباسية بطابع كوني إسلامي متميز، أدمج الإرث الحضاري الفارسي والهيليني والهندي في صلب الثقافة العربية الإسلامية .وقد انعكس ذلك بجلاء في حركة الترجمة الكبرى إبان خلافة المأمون، وما رافقها من ازدهار للعلوم والآداب والفنون، مما جعل من بغداد في القرنين الثالث والرابع الهجريين منارة الحضارة الإنسانية.

خامسًا :نتائج الثورة و أثرها في التاريخ الإسلامي

أسفرت الثورة العباسية عن جملة من النتائج البعيدة الأثر في مسيرة الحضارة الإسلامية، يمكن إجمالها فيما يلي:

- انتهاء العصبية القبلية العربية بوصفها المعيار الوحيد للحكم، وفسح المجال للعناصر غير العربية للمشاركة في بناء الدولة.
- تعزيز الطابع الديني والشرعي للخلافة الإسلامية، حيث برز لقب "أمير المؤمنين "بثقل أكبر من السابق.

- الانفتاح الحضاري الكبير على الإرث العلمي اليوناني والفارسي والهندي من خلال حركة الترجمة الواسعة.
- تحوّل مركز الثقل الجغرافي للعالم الإسلامي من الشام إلى العراق، ومنه إلى المشرق عمومًا.
- إرساء نموذج أكثر تعقيدًا في إدارة الدولة واستيعاب التنوع الإثني والثقافي في المجتمع الإسلامي.
- إطالة أمد الخلافة الإسلامية بعد أن كانت على شفا التفكك، إذ استمرت الدولة العباسية قرابة خمسة قرون رسمية حتى سقوط بغداد عام 656هـ/1258م.

خاتمة:

تكشف الدراسة المتأنية للثورة العباسية أنها لم تكن مجرد انقلاب عسكري عابر، بل كانت ثمرةً لمسيرة نضالية طويلة جمعت بين التنظيم السياسي المحكم، والإقناع الأيديولوجي، والتوقيت العسكري الملائم .وقد اعتمدت الدعوة على استثمار المظالم الاجتماعية والاقتصادية وتحويلها إلى طاقة ثورية فاعلة .كما أن اختيار خراسان مسرحًا للانطلاق لم يكن مصادفة، بل جاء نتاجًا لتقييم دقيق للأوضاع الميدانية.

وتبقى الدولة العباسية من أطول الدول الإسلامية عمرًا وأعظمها أثرًا في تاريخ الحضارة الإنسانية، لا في السياسة وحدها، بل في العلوم والآداب والفنون والفكر التي أثرت بها التراث الإنساني بأسره.